



الهيئة العامة لكتبة وأرشيف
الجمهورية الإسلامية الإيرانية



من
حصص الشواقيتملك

تأليف
الدكتور شعبان محمد اسماعيل
رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية - بالمدينة المنورة



دار المريج للنشر والانتاج الفني

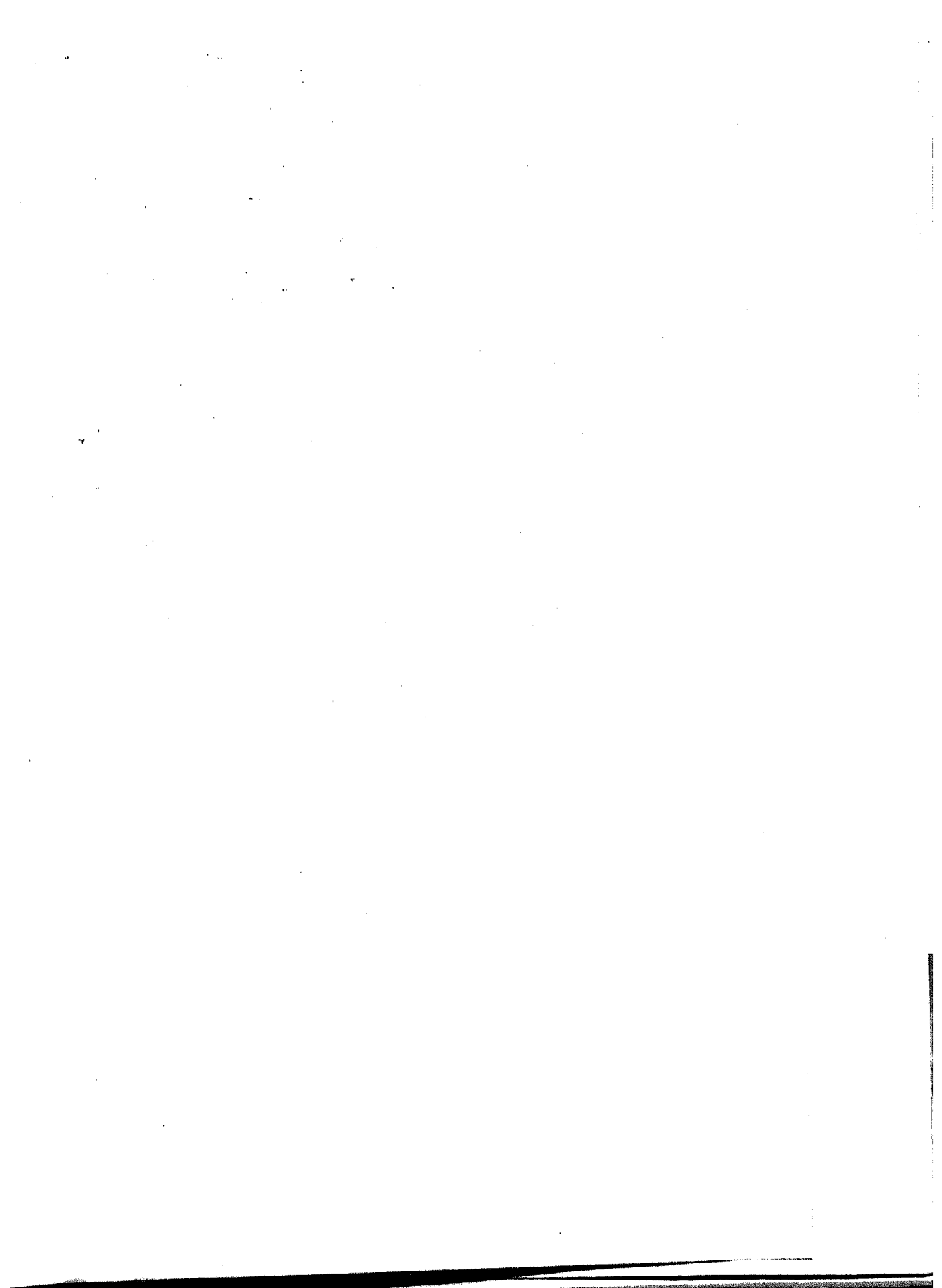
ص.ب. ١٠٧٢٠

الرياض - المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
حقوق الطبع محفوظة للناشر

”لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً“

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وبعد :

فان الذى يريد أن يكتب عن حياة أى انسان ، فانه يلتبس له المآثر والصفات التى
تظهر مكانته بين الناس ، ولكن الذى يريد أن يكتب عن حياة رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بنوع خاص - يجد نفسه متحيرا ، ماذا يأخذ من خصائصه وشماثله ، وصفاته الكريمة
وأخلاقه العظيمة ، فانها تفوق الحصر ، وتعجز عن البيان .

والا فماذا يستطيع الانسان أن يقول بعد قول الله عز وجل له : (وما أرسلناك الا
رحمة للعالمين) .

وقوله جل شأنه : (وانك لعلى خلق عظيم) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ،
وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من
تنشق عنه الارض ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ولا فخر " . (١)

ولذلك قال الشاعر - بعد أن أطنب فى وصفه - صلى الله عليه وسلم - ووجد نفسه
لم يوفه حقه :

فمبلغ العلم فيه أنه بـشـر
وأنه خير خلق الله كلهم

وموضوع الشماثل من المواضيع التى اهتم العلماء بها قديما ، وحديثا ، فألفوا فيها
الكتب والموسوعات ، نظرا لاتصالها بأحوال الرسول العملية : فى عبادته ، وخلقته ،
وهديه ، ومعاملاته ، باعتباره الاسوة الحسنة ، والقذوة الطيبة ، التى ينهل منها الجميع
امتنالا لقوله تعالى :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا) (٢)

(١) الزرقانى على المواهب اللدنية (٣٥٢/٨) .

(٢) سورة الاحزاب آية (٢١) .

ولاعجب فى ذلك ، فلقد كانت حياته — صلى الله عليه وسلم — كلها تطبيقا وامتنالا
لاوامر الله تعالى ونواهيته .

وقد حاولت بجهدى المتواضع أن أغترف شيئا من خصائص الرسول — صلى الله عليه
وسلم — وشمائله ، ليكون نبزاسا يستضاء به ، ومنهاجا نسير عليه ، فان الخير كل الخير فى
الافتداء به ، والسير على منهاجه ، عملا بقوله تعالى :

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) (١)

وقوله جل شأنه :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢)

وانا لنسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاتباع ، وتمام الامتثال ، انه نعم المولى
ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

المدينة المنورة فى :

غرة ربيع الاول ١٤٠٠ هـ

شعبان محمد اسماعيل

(١) سورة النساء آية (٨٠) .
(٢) سورة الحشر آية (٧) .

من الخصائص الحمديّة

من الخصائص المحمدية

النسب الشريف

قال ابن هشام في نسيه - صلى الله عليه وسلم - : " هو : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " (١)

ويقول - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه :

" ان الله اصطفى من ولد ابراهيم : اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم " (٢)

زواج عبد الله من السيدة آمنه

كان بيت عبد المطلب بن هاشم ، وبيت وهب ابن عبد مناف من أعلى البيوت في قريش ، اذ كان عبد المطلب بن هاشم سيد بنى هاشم .

وكان وهب بن عبد مناف سيد بنى زهزة .

وكان كلا البيتين موسوما بالشرف والكرامة والطهر والعفاف ورعاية الدين والفضيلة ، فكان زواج عبد الله بن المطلب من آمنة بنت وهب زواجا موفقا ميمونا . اتحد فيه عنصر طيب بعنصر طيب . وانضم به عنصر كريم الى أصل كريم . واصهر بيت عريق في شرف الابهاء وطهر الامهات الى بيت يكافئه في الشرف والطهارة فكان من الطبيعي أن تكون ثمرة هذه المصاهرة ثمرة طيبة مباركة . وأن يكون نسل هذا الزواج نسلا طاهرا كريما (٣)

وصدق الله العظيم اذ يقول : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكدا) (٤)

موت عبد الله

وكان لقريش رحلتان للتجارة : رحلة في الشتاء الى بلاد اليمن وما وراءها ، ورحلة في الصيف الى بلاد الشام وماجاورها .

وكانت القوافل في كلتا الرحلتين تقوم من مكة محملة بمنتجاتها من الصوف والسعر والوبر والجلود . وتعود محملة ببضائع الشام والعراق ومصر واليمن وبلاد الحبش .

- (١) سيرة ابن هشام (١/١) .
- (٢) رواه مسلم والترمذي .
- (٣) صور من حياة الرسول ص ٣٧ .
- (٤) الاعراف (٥٨) .

وكان عبد المطلب يحب أن يأخذ أبناءه بالمراس في أساليب التجارة فكان يرسلهم واحدا بعد واحد في رحلة الشتاء والصيف . فلما كانت هذه الرحلة وقع اختياره فيها على عبد الله (١) .

كانت هذه الرحلة - في هذه المرة - قاصدة الى بلاد الشام . وكان الوقت صيفا والحر شديدا والسفر مضميا . وكانت ظروف عبد الله - كلها - تدعو الى الاقامة . ولكن عبد الله لم يشأ أن يخالف أمر أبيه ، واندفع مع القافلة في الصحراء المترامية الاطراف ، متعرضا لاطارها ومشقاتها . وترك وراءه زوجته وهي حديثه عرس به .

وانطلقت القافلة في طريقها الى الشام تقطع الغياض البعيدة ، وتتصلى وقدة الشمس التي تذيب الروء وس . وحرارة العطش التي تفتت الاكباد . وتعانى من قسوة الصحراء ماتعانى حتى وصلت الى أسواق الشام ، فباعت مامعها . واشترت حاجتها ثم قفلت راجعة من حيث جاءت حتى وصلت في طريقها الى مدينة يثرب .

وكان عبد الله قد مرض أثناء الطريق . وأنهك قواه طول السير في الصحراء . فأوى الى أخوال أبيه في المدينة ليستجم ويستريح ويقيم عندهم أياما حتى يبيل (٢) من مرضه . أما القافلة فقد تركت رفيقها عبد الله عند أخواله وواصلت سيرها الى مكة لتصل اليها في الموعد المعتاد .

وكان آل عبد المطلب قد تهيئوا للقاء هذه القافلة كما تهيأ للقائهم غيرهم ودخلت القافلة مكة يحيط بها جمع حاشد من الشباب . وهلل الناس واندفع كل حبيب الى حبيبه يعانقه ويقبله . وأخذ عبد المطلب يدور بعينيه في القادمين . يحاول أن يرى ولده عبد الله فلا يراه . ويسأل . . أين عبد الله يا قوم ؟

قال قائلهم : لقد مرض عبد الله في الطريق . وتخلف عند أخواله في يثرب ليستريح عندهم أياما ثم يعود .

وفوجيء عبد المطلب بما لم يتوقع . ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه . وأمر ولده الحارث أن يذهب على الفور الى يثرب ليحمل أخاه عبد الله قد مات ودفن هناك عند أخواله . فعاد الى مكة وألقى الى أبيه بالنبأ المشؤم . فاضطرب عبد المطلب له اضطرابا شديدا . وتحير كيف يلقي هذا النبأ الفاجع الى آمنة بنت وهب . الا أن آمنة أدركت كل شيء وعرفت كل شيء حين نظرت الى وجه الشيخ . وكانت حينئذ حاملا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) صور من حياة الرسول ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) ببيل : يشفى .

مولده صلى الله عليه وسلم

لم يستبد الحزن بآمنة بنت وهب . ولم يجثم على صدرها طويلا . فالهواتف كانت تتوارد على نفسها بأنها ليست وحيدة . وأن موت عبد الله لم يكن شرا يراد بها . وأن الغد القريب ينتظرها بخير كثير .

وفي احدى الليالى آوت آمنة الى فراشها - كعادتها فرأت كأن طيفا لطيفا يدنو منها ثم يهتف بها فى همس " لقد حملت بسيد هذه الامة " (١)

وانتظرت آمنة أن تحس ما تحسه الحوامل من أسباب الضعف والوهن . ولكنها لم تجد ضعفا ولا وهنا . لكن ذلك الهاتف كان حريصا على ألا يترك للشك مجالا فى نفسها اذ كان يعاودها من حين الى حين فيلقى اليها فى كل مرة نبأ جديدا .

فقد انبأها ذات ليلة بأنها حملت بسيد هذه الامة . ومرة أنبأها بأنها ستكون أما لخير أهل الارض . ومرة أخرى أمرها أن تسميه محمدا .

ومازالت كذلك . بين الشك واليقين . حتى أحست بشائر الحمل واستبان حقيقته ، هنالك صدقت أن هذه الهواتف لم تكن الا هواتف صدق وأن حملها هذا لا بد أن يكون له شأن (٢) .

وفي احدى الليالى رأت فيما يرى النائم . كأن نورا قد خرج منها فأضاء ما بين المشرق والمغرب حتى رأت على ضوئه قصور بصرى من أرض الشام . ومازالت آمنة تتوالى عليها البشائر والايات ، حتى أتمت شهور الحمل ، وولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول فى العام الذى حدثت فيه حادثة الفيل ، اذ جاء أبرهة الاشرم وأصحابه ليهدموا الكعبة فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول (٣)

وكان ذلك فى سنة ٥٧١ م . على خلاف فى هذا التحديد .

الارهاصات التى صاحبت الميلاد الشريف

وقد روى البعض أن ارهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة من ايوان كسرى ، وخدمت النار التى كان يعبدها المجوس ، وانهدمت الكنائس حول بحيرة "ساوة" بعد أن غاضت .

-
- (١) ابن هشام (١٠٣/١) .
 - (٢) صور من حياة الرسول ؛ ص ٤٢ .
 - (٣) الفتح الربانى (١٨٢/٢٠) .

قال البوصيرى :

ياطيب ما ابتدأ منه ومختتم
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
عليه والنهر ساهى العين من سدم
ورد واردها بالغيط حين ظمى

أبان عولده عن طيب عنصره
يوم تفرس فيه الفرس أنهم
وبات ايوان كسرى وهو منصدع
والنار خامدة الانفاس من أسف
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

والعجب ان كثيرا من الكتاب ينكرون مثل هذه الامور التى صاحبت ميلاد خير البشر
والذى كانت رسالته أعظم رسالة عرفتها البشرية ، فهو الذى أرسله الله عز وجل لتحرير
العقول من الاوهام ، ولتحقيق المساواة بين الناس ، وأنه لا معبود بحق الا الله ، وأن عهد
الظلم قد أذن بالرحيل ، فاذا ما تهدمت قصور الظلمة ، وطفئت النيران التى كانت تعبد
من دون الله كان ذلك متمشيا مع طبيعة المخلوقات المختلفة التى تقر بأن لها ربا واحدا هو
الذى ذراها ، وأنها لا تسجد ولا تخضع الا له مصداقا لقوله تعالى : (ألم تر أن اللد
يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب) (١)

وما أجدر ما قاله استاذنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذا المقام ، فانه
جدير بالنقل حيث قال :

انسجام الانسان وأجناس الوجود

رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود ، ومعنى
انسجام الانسان مع الوجود أن الوجود بجماده ونياته وحيوانه خاضع مسخر لله لا يمكن أن
يصدر عنه شيء الا بمراد الله منه ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع ، وجاء منه
العاصى ، ولذلك يعرض الحق هذه القضية ، مع عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع
الساجد الخاشع . يقول الحق (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ، ومن فى الارض ،
والشمس والقمر والنجوم ، والجبال والشجر والدواب) تلك هى أجناس باجماع ساجد
خاضعة لله ، ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الاجماع ، فقال (وكثير من الناس
وكثير حق عليه العذاب) وكان من المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجود كله ، فيكون
خاضعا لمنهج الله ، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله ، والوجود الخاضع لمنهج الله
يجب الانسان الخاضع لمنهج الله ، يأتلف معه ، وينسجم معه ، ولا ينسجم شيء من الوجود
الا مع الانسان الطائع ، أما الانسان العاصى ، فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود ؛
وجود مسبح . . وجود ساجد ، وجود خاشع ، وانسان متمرد عاص .

هل يفرح الوجود بالانسان :

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود ، فلا بدعة اذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه ، وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان ، ليكون الانسان خاضعا مع بقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى ، اذن فلا عجب أن يفرح به الوجود ، لا عجب أن يفرح به الجماد ، ولا عجب أن يفرح النبات ، ولا عجب أن يفرح به الحيوان ، ولا عجب أن تفرح به الملائكة ، ولا عجب أن يفرح به طائفة الجن .

إذا فاذا حدثنا : أن ميلاده - صلى الله عليه وسلم - قد قرن بأشياء حدثت فى الكون من ارهاصات فى الوجود كله بميلاده فيجب علينا ألا نستبعد ذلك . لانه هو الرسول الذى يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله ، والوجود كله كما نعرفه ، ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا ولكن له حياة وله تعقل فى التلقى عن الله وله فرح وله حزن . وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ، لنعرف أن الكون كله عبد لله . وخاضع له فقال (وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (١) .

إذا " ان من شيء " أى كل شيء فى الوجود مسبح ، ولكننا ألفنا التسبيح بالفاظ ، وألفنا التسبيح بلغة ، فلما لم نسمع من الكون ألفاظا ، ولما لم نسمع من الكون لغة . قال بعض العلماء : انه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته . نقول لهم مرحبا ، له تسبيح الدلالة ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقى ، لانه ان كان تسبيح دلالة كما تقولون ، فالحق قال : (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وأنتم قد فقهتموه ، اذا فهو غيرهم ، والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه وتعالى عرض من أجناس الوجود أشياء ، وجعلها تشترك أيضا مع الانسان . فيقول فى شأن داود " يا جبال أوبى معه ، ومعنى أوبى : رجعى تسبيح الله . أى يجب أن يوافق ترجيعك يا جبال ترجيع داود : (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) (٢) والجبال مسيحة مع داود ، ومع غير داود ، ولكن الامر . . أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا أن لجميع الاجناس منطلقا ، ولها لغة ، جهلنا بها ، هو الذى جعلنا لا نفقهها ، فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الاشياء ، أمكنه أن يفقه تسبيحها ، وان يفقه منطقها اقرأوا ان شئتم قول الله : (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (٣) .

- (١) الاسراء (٤٤) .
- (٢) الانبياء (٧٩) .
- (٣) النمل (١٨) .

قالت ، وسمعتها سليمان ، وحمد الله تعالى على أن أنعم عليه بأن فهم لغة النملة ، قد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة ، لتحافظ على نوعها . بدليل (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) فهي تحافظ على بقاء النوع ، نقول له لا . حينما عرض الحق أيضا ، قصة هدهد سليمان ، فماذا قال الهدهد قال : (وجئتك من سبأ بنباً يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم) (١) هذا كلام الخبر ، ولكن الذى يهمنى فى قضية العقيدة والتوحيد ، وأنها أمر سائر فى كل أجناس الكون ، أن يقول الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) (٢) .

هذا ما حز فى نفس الهدهد : أن يسجدوا للشمس من دون الله ، اذا فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح له ، ومن يجب أن يسجد له (ألا يسجد لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) (٣) .

اذا فاذا عرضت لنا السيرة ، أن أشياء من الكون فرحت برسول الله ، وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله ، عارف بحق الله ، وأيضا ، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ، ولكن الذين آمنوا ، هم الذين شاهدوها ، هم الذين سمعوها فالذين سمعوها ، حجة على أنفسهم ، ونحن نتلقى عنهم الخبر ، فان كنا موثقين لهم فى الخبر صدقناه ، وان لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر ، فنحن أحرار فى أن نصدق أو لا نصدق ، ولكن منطق الاشياء ، ومنطق الوجود لا يحيل وجود شيء من ذلك ، فاذا حدثنا ، أن ايوان كسرى قد شق ، فماذا فى ذلك وما فى ذلك من العجب ! أنستبعد أن يوقت شق الايوان بالميلاد ، أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس ، وأن يوقتها مع الميلاد ، أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيب بحيرة ساوة مع الميلاد ، لماذا هذا ؟ اذا ، فالقرآن حين يعرض لهذه القضية . يعرض لما حدث فى الكون فى عام الفيل .

حفظ المبنى والمعنى

فى عام الفيل ، نعلم أن قوما جاءوا ليهدموا بيت الله ، وبيت الله هو الذى اختاره الله لنفسه ، وحوله ونحوه نلتف جميعا فى الصلاة ، هذا البيت له قالب ، هذا القالب أريد به ضر وهدم ، فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى ، حافظ على مبنى البيت فى ذلك العام ، فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة من هدمه ، هى عينها المحافظة على بقائه لربه ، بميلاد محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واذا كان الحق قد عرض لنا هذه القضية ، فانه قد عرضها عرضا عجيبا ، هذا العرض العجيب ، يتجلى فى قوله : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كغصف مأكول) (٤) .

(١) النمل (٢٣) .

(٢) النمل (٢٤) .

(٣) النمل (٢٥) .

(٤) سورة الفيل .

ورسول الله لم يبر وقتها ، ولكنه علم بالقضية من الله ، هنا تلتفت لفئة هامة ؛ هذه للفئة ، هي لماذا عبر الله ب . . ألم تر . . فى مقام (ألم تعلم) ؟ لان العلم اذا كان بواسطة الاخبار من الله ، فيجب أن يستقبله المؤمن بالله ، استقباله لما يرى ، ولما يحدث نليس خبرا عن غيب ، فكأن مايقوله الحق فى (ألم تر) أى ألم تعلم ، وكأن الحق يقول ؛ ننى أقول لك ، واذا قلت لك ، فانا عينك ، وكانك ترى ذلك ، ويقول الحق (ألم تركب نعل ريك) . ومعنى الاضافة هنا ، تدل على أن المسألة متعلقة بمحمد — صلى الله عليه وسلم — نعل ريك . والرب ، تفيد التربية ، والكمال والبلوغ بالمربى الى مرتبة الكمال ، فما دام نعل ريك ، فيكون لمحمد — صلى الله عليه وسلم — علاقة بالمحافظة على ذلك البيت ،

وبعد ذلك حين عرض القضية ، عرضها العرض الذى نعلمه حيث أرسل عليهم طيرا بابيل (ترميمهم بحجارة من سجيل) هنا وقف بعض العلماء وقفة ، وأنا أحب هنا أن أصغى هذه الوقفة أننا قد اتهمنا بأن ديننا لا يتمشى مع العقل ، اتهمنا هذه التهمة من المستشرقين ولكن المستشرقين حين يلقون هذه التهمة ، يحيون أن يدخلوا منها الى منفذ خطير يهدمون به الاسلام ، فقام قوم من الغيورين على الاسلام ، وقالوا ؛ الاسلام فى كل قضاياها يتمشى مع العقل . . فجاءوا الى كل ما يتصل بالغيب الذى يقف فيه العقل ، وحاولوا تأويله تأويلا يرضى العقل ، حتى يدفعوا التهمة عن الدين بأنه لا يتمشى مع العقل ، وعلى رأسهم علماء كبار ، ومدارس عقلانية ، لها مذاهب شتى .

وجاءوا فى هذه الحادثة التى عاصرت ميلاده — صلى الله عليه وسلم — فماذا قالوا؟ نالوا ؛ ان الطير الابابيل التى ترميهم بحجارة من سجيل هى الميكروبات أرسلها الله على ذلك الجيش ، لماذا؟ ليقربوا المسألة الى أذهان الناس ، حتى لا يتهم الاسلام بأنه يأتى اشياء لا تطابق العقل ، نقول لهم ؛ انتم مشكورون على غيرتكم فى أن تدخلوا بعض قضايا لغيب فى الاسلام الى مرتبة العقل ، ولكن الأديان لا تناقش هذه المناقشة ، لان الدين إنما يناقش بالعقل فى قمنه الاساسيه وهى قمة الايمان بالله ، أدخل على الايمان بالله بعقلك نت حر فى أن تؤمن أو لا تؤمن . ولكن اذا دخلت على الايمان بعقلك وفرغت من هذه لقضية وصولا للايمان ، فتقبل بعد ذلك عن الله كل مايقول ، ولا تدخل عقلك فى كل جزئية ما يقول ، فقد رجعت فى قضيتك الاولى ، اذا فاحتراما لعقلك مادمت قد آمنت بالله فيجب ن يكون عمل عقلك هو فى توثيق النقل عن الله ، أقال الله ذلك ، أم لم يقله ؟ فاذا أنت المسألة كما يريد العقلانيون أن يفسروها وهو أنه ميكروب أو طير يحمل حجارة فيها ميكروب ، نقول لهم ؛ حدث الفيل حدث عام ميلاده — صلى الله عليه وسلم — بعث على أس الاربعين ولاشك أن قوما من الذين عاصروا رسالة رسول الله كان منهم البعض فى سن لستين ومنهم من فى السبعين ، وهناك الذين سنهم ثمانون سنة ، اذا فقد كانوا فى عام لفيل فى سن العشرين وفى سن الثلاثين وفى سن الاربعين ، اذا فقد شاهدوا الحدث وهم م يعرفوا الميكروب ، ولم يعرفوا شيئا عنه .

فلو أن القصة التي رآها هوءلاء عام الفيل ، تعارض أى جزئية من جزئيات القرآن التي قالها ، طير ، وأبابل ، وترمى بحجارة من سجيل . وتجعلهم كعصف مأكول . لكان من الميسور على المكذبين أن يقولوا رأيتهم أنه يقول ما لم يحدث . وكان من الميسور أن يكذبوا الامر . اذا فالمسألة حدثت كما قصها القرآن وكما يفهمها العربى . من طير أبابل ترمى بحجارة من سجيل . تجعلهم كعصف مأكول . وهب أنك جئت بالميكروب فلماذا تأتى به . التسهلها على الله؟ بالقطع لا : نقول له : وحتى اذا كنا نصدقك القول فى الميكروب فماذا ذلك الطير العاقل والميكروب الموجه . الذى لا يتوجه الا الى أعداء الكعبة يختار قوما دون قوم فيلقى عليهم ميكروبا . وما ذلك الميكروب الذى يفعل فعل السحر ، فى أنه بمجرد أن يلقى . يفتك بالجسم فيجعله كعصف مأكول بدلالة " الفاء " " ترميهم بحجارة من سجيل ف . . جعلهم " وهذه الفاء للترتيب والتعقيب . والميكروب اذا دخل جسما فلا بد له من فترة طويلة من حصانة . ثم فترة طويلة من فتك . ثم فترة طويلة بعد ذلك يرم الجسم وينتن . واذا رم وأنتن . فبعد ذلك يتمزق . فما ذلك الميكروب السريع العادل . الذى اذا نزل جعل الجسم كأنه عصف مأكول . اذا فسواء قلت ميكروب . أو غير ميكروب . فيد السماء . وفعل الله منجل فى كل شىء . ولو كان فى الميكروب كما نقول .

ويجب أن نتنبه دائما الى أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض أمرا من الامور فيقول " فعل ربك " ، فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطرح قوانينك . لان الذى فعل هو ربك . وما دام " فعل ربك " فلا تأتى بالقوانين التى فى عرفك هى الفاعلة ، اذا (فعل ربك) فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطرح قوانينك وتلغى عقلك .

انتهت المسألة ، والغاء عقلك هذا . ثقة فيمن قال : وما دام الامر ثقة فيمن قال فلا يهم اذن . تحملها عقلى أم لم يتحملها . لان الايمان يتحمل كل شىء . ولذلك قال بعض العارفين : " العقل كالمطية . يوصلك الى باب السلطان . ولكن لا يدخل معك عليه " (١) .

التسمية ب (محمد) صلى الله عليه وسلم

لم تكن العرب تسمى بمثل هذا الاسم الشريف قبل ذلك ، ولذلك لما سئل عبد المطلب ما سميت ابنك ؟ فقال : " محمدا " .

فقيل له لم رغبت عن أسماء آبائك ؟ فأجاب :

أردت أن يحمد الله في السماء ، وأن يحمد الخلق في الأرض .

وكان ذلك ثمرة لرؤيا رآها عبد المطلب ذكرها القير وانى في كتابه " البستان " قال

" كان عبد المطلب قد رأى في نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرف في السماء ، وطرف في الأرض ، وطرف في الشرق ، وطرف في الغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على ورقة منها نور . وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها " .

فقصها ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض .

ولقد رأت السيدة آمنة قبل ميلاده - صلى الله عليه وسلم - أنه آتاه آت فأمرها أن تسميه " أحمد " .

ولقد تحدث - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك عن أسمائه فقال : " ان لى اسما ؛ أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى الذى يمحو به الكفر ، وأنا العاقب (١) " .

كما قال - صلى الله عليه وسلم - : " أنا محمد ، وأنا أحمد ، ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، والحاشر ، والمقفى (٢) ، ونبى الملاحم (٣) " .

وبالجملة : فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمي بأسماء كثيرة ، منها ما هو علم ، ومنها ما هو صفة من صفاته - صلى الله عليه وسلم - ، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى .

والاسماء التى تقدم ذكرها ليست على سبيل الحصر ، بل لكونها أشهر من غيرها حتى أوصلها بعضهم الى أربعمائة اسم .

والذى جاء به القرآن الكريم صريحا ، هو التسمية ب (محمد) و (أحمد) - صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) رواه الامام أحمد . والعاقب : أى الذى جاء عقب الانبياء قبله .
(٢) أى التابع لغيره من الانبياء فكان آخرهم ، فان قافية كل شىء آخره .
(٢) رواه الامام أحمد .

قال الله تعالى : (محمد رسول الله) (١)

وقال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٢) .

وقال تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (٣) .

وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " اسمى فى التوراة أحميد ، لانى أحميد أمتى عن النار ، واسمى فى الزبور الماحى محاه الله بن عبدة الاوثان ، واسمى فى الانجيل أحمد ، واسمى فى القرآن محمد ، لانى محمود فى أهل السماء والارض " (٤) .